عن سائر طرق الضلال فلم يكن بد من التعريف فان قيل فلم جاء منكرا في قوله ويهديك صراطا
مستقيما وقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم وقوله
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم فالجواب عن هذه المواضع بجواب واحد وهو انها ليست
في مقام الدعاء والطلب وانما هي في مقام الاخبار من الله تعالى عن هدايته الى صراط مستقيم وهداية رسوله
ولم يكن للمخاطبين عهد به ولم يكن معروفا لهم فلم يجئ معرفا بلام العهد المشعرة الى معروف في ذهن
المخاطب قائم في خلده ولا تقدم في اللفظ معهود فتكون اللام مصروفة اليه وانما تاتي لام العهد
في احد هذين الموضعين اعني ان يكون لها معهود ذهني او ذكري لفظي واذ لا واحد منهما في هذه
المواضع فالتنكير هو الاصل وهذا بخلاف قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فانه لما تقرر عند
المخاطبين ان لله صراطا مستقيما هدى اليه انبياءه ورسله وكان المخاطب سبحانه المسؤول منه
هداية عالما به دخلت اللام عليه فقال اهدنا الصراط المستقيم وقال ابو القاسم
السهيلي ان قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما نزلت في الحديبية وكانوا المسلمين قد كسر هوا
ذلك الصلح وراوا ان الراي خلافه وكان الله ورسوله اعلم فانزل الله سبحانه عليه هذه الاية
فلم يرد صراطا مستقيما في الدين وانما اراد صراطا في الراي والحرب والمكيدة وقوله وانك لتهدي
الى صراط مستقيم اي تهدي من الكفر والضلال الى صراط مستقيم ولو قال في هذا الموضع الى الصراط
المستقيم لجعل للكفر والضلال حظا من الاستقامة اذ الالف واللام تبين ان ما دخلت عليه
من الاسماء الموصولة احق بذلك المعنى مما تلاه في الذكر او ما قرن به في الوهم ولا يكون احق به
الا والاخر فيه طرف منه وغير خاف ما هذين الجوابين من الضعف والوهن اما قوله ان المراد
بقوله ويهديك صراطا مستقيما في الحرب والمكيدة فهو ظلم لهذا الفضل العظيم والحظ الجزيل
الذي امتن الله به على رسوله واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الاية احب اليه من الدنيا وما فيها ومتى
سمى الله الحرب والمكيدة صراطا مستقيما وهل فسر هذه الاية احد من السلف والخلف بذلك بل الصراط
المستقيم ما جعله الله سبحانه عليه من الهدى ودين الحق الذي امره ان يخبر بان الله هداه اليه
في قوله تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ثم فسره بقوله دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان
من المشركين ونصب دينا هنا على البدل من الجار والمجرور اي هداني دينا قيما افتراه يمكنه
ههنا ان يقول امر الحرب والمكيدة فهذا جواب فاسد جدا وتامل ما جمعه الله سبحانه لرسوله
في اية الفتح من العطايا وذلك خمسة اشياء احدها الفتح المبين والثاني مغفرة ما تقدم من ذنبه
وما تاخر والثالث هداية الصراط المستقيم والرابع اتمام نعمته عليه والخامس النصر العزيز
الى ان قال وقال تعالى الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق وانزل التوراة
والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان فذكر انزال الكتاب الهادي والفرقان وهو

النصر

وهو النصر الذي يفرق بين الحق والباطل وسر اقتران النصر بالهدى ان كلا منهما يحصل به الفرقان بين الحق والباطل
ولهذا سمى الله تعالى ما ينصر به عباده المؤمنين فرقانا كما قال تعالى ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا
يوم الفرقان وهو يوم بدر وهو اليوم الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل بنصر رسوله ودينه واذلال
اعدائه وخزيهم ومن هذا قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين فالفرقان
نصره له على فرعون وقومه والضياء والذكر التوراة هذا هو معنى الاية ولم يصب من قال ان الواو زائدة
وان ضياء منصوب على الحال كما بينا فساده في الامالي المكية فتبين ان اية الفتح تضمنت الاصلين الهدى
والنصر وانه لا يصح فيها غير ذلك البتة واما جوابه الثاني عن قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط
مستقيم بانه لو عرف لجعل للكفر والضلال حظا من الاستقامة فما ادري من اين جاء له هذا الفهم
مع ذهنه الثاقب وفهمه البديع رحمه الله وما هي الا كبوة جواد ونبوة صارم افتراه قوله تعالى
واتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم يفهم منه ان لغيره حظا من الاستقامة
بل يقال تعريفه يبقى ان يكون لغيره حظا من الاستقامة فان التعريف في قوة الحصر فكانه قيل الذي
لا صراط مستقيم سواه وفهم هذا الاختصاص من اللفظ اقوى من فهم المشاركة فتامله هنا ولي نظائره

فصل واما المسئلة الثالثة وهي اشتقاق الصراط فالمشهور انه من
صرطت الشيء اصرطه اذا بلعته بلعا سهلا فسمي الطريق صراطا لانه يصرط المارة فيه والصراط ما جمع
خمسة اوصاف ان يكون طريقا مستقيما سهلا مسلوكا واسعا موصلا الى المقصود فلا يسمى العرب
الطريق المعوج صراطا ولا الصعب المشق ولا المسدود غير الموصول ومن تامل موارد الصراط
في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك قال امير المؤمنين علي صراط اذا اعوج الوارد مستقيم وبنوا
الصراط على زنة فعال لانه يشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط وهذا الوزن كثير في المشتملات
على الاشياء كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش والكتاب واما ذكره له بلفظ الطريق
في سورة الاحقاف خاصة فهذا حكاية الله تعالى كلام مؤمني الجن انهم قالوا لقومهم انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وتعبيرهم ههنا بالطريق
فيه نكتة بديعة وهي انهم قدموا قبله ذكر موسى وان الكتاب الذي سمعوه مصدقا لما بين يديه
من كتاب موسى وغيره فكان فيه كالنيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لقومه قل ما كنت بدعا
من الرسل اي لم اكن اول رسول بعث الى اهل الارض بل قد تقدمت قبلي رسل من الله الى امم وانما بعثت
مصدقا لهم بمثل ما بعثوا به من التوحيد والايمان فقال مؤمنو الجن انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم اي بسبيل مطروق قد مرت عليه الرسل قبله
وانه ليس ببدع كما قال في اول السورة نفسها فاقتضت البلاغة والاعجاز لفظ الطريق لانه فعيل
بمعنى مفعول اي مطروق مشت عليه الانبياء والرسل قبل تحقيق على من صدق رسل الله وامن بهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)